مصادر التاريخ الحضرمي

للأستاذ أحمد عوض باوزير

تمهيد :

هناك حقيقة تاريخية ثابتة ينبغي مراجعتها ، قبل البدء في الحديث عن « مصادر التاريخ الحضرمي » . ومن المؤرخين المحدثين الذين فطنوا إلى أهمية هذه الحقيقة ، السيد علوي ظاهر الحداد ، مؤلف كتاب « الشامل » . فقد ورد في رسالة له أسماها « جنى الشماريخ » ما يفيد في تقرير هذه الحقيقة

وفحوى هذه الحقيقة التاريخية ، هو أن التاريخ السياسي القديم ، لحضرموت لا يمكن دراسته منفصلا عن تاريخ اليمن الكبير ، أو عن تاريخ الإسلام في الجزيرة العربية حتى إلى ما بعد نشوء الدول الكثيرية ، في أواخر القرن الثاني الهجري . ويقال في تعليل قيام بعض الحكومات القبلية ، واستقلالها أثناء هذه الفترة الزمنية ، أن ذلك كان نتيجة لأحوال الضعف المادي والأدبي ، في حكومات اليمن المتعاقبة ، أو في عاصمة الخلافة الإسلامية

ومما يفيد في تقرير هذه الحقيقة كذلك انتشار الفرق الدينية في حضرموت ، فإن ذلك الانتشار يعني امتداد النفوذ السياسي والإداري ، إلى هذه الرقعة من الجزيرة العربية . وأظهر هذه الفرق « الأباضية » ثم « القرمطية » . وكان ظهورها أيام اضطراب دول الزياديين في اليمن ، في أواخر القرن الرابع الهجري و « الإسماعيلية »

ما هي مصادر التاريخ الحضرمي :

وإذا كنا قد أثبتنا هذه العلاقة بين تاريخ حضرموت ، من جهة ، وتاريخ اليمن أو الجزيرة العربية ، من جهة ثانية . فيحسن بنا أن نتساءل . ما هي مصادر التاريخ الحضرمي إذن ؟ وما هي نوع العلاقة في هذه الوحدة السياسية والاقتصادية ؟

والجواب على أولها ، هو أن هناك كثير من المصادر التاريخية ، بأقلام جهرة من الحضرميين النابهين ، غير أن أهمها قد ضاع ، ولم يبق منها غير مقتطفات ، أو شذرات متفرقة . ومن هذه المصادر تاريخ « بازرعة » وتاريخ « حنبل » وكتاب « الفرج بعد الشدة في إثبات فروع كندة » وتاريخ « الشبلي » و « شنبل » وغيرهم من المؤرخين . وحتى هذه المصادر لا يمكن أن تؤخذ على علاتها ، دون الرجوع إلى الأحوال العامة ، في تاريخ البلدان المجاورة التي يتصل تاريخها السياسي اتصالا وثيقا بسير الأحوال في البلاد الحضرمية

أما عن نوع العلاقة ، في هذه الوحدة السياسية والاقتصادية بين حضرموت وغيرها من الدويلات في الجزيرة العربية ،

الضعيف وصلة الرحم ونصفة المظلوم . ونبذ العداوة والبغضاء ونزع ما في الصدور من غل ؟

من يسمع كتاب الله وهو يدعو إلى ما فيه الخير والصلاح والنفع العميم للبشر ؟

من يسمع دعوة الرسل والمبشرين لطريق الهدى والصلاح . ومن يسمع دعوة الأديب وهو يدعو إلى ارتقاء المثل العليا والمثل العليا صعبة المرتقى ؟

من يسمع دعاة العقل والفضيلة وفيها ما فيها من جهد وكفاح ؟

نعم أيها الأستاذ ؟

لن تجد من يسمع لضياع الموازين وفقدان المقاييس . وضيعة الأخلاق ..

لن تجد من يسمع . وليس هناك من يسمع ولن يسمع فلان . وليس هناك من يسمع فلان .. ما دام فلان .. لا يريد أن يسمع قول الحق . وكلمة الصراحة وكل الناس على شاكلة فلان حتى أنا وأنت :

وإن أبيت إلا أن تسمع هؤلاء الصم شكاتك . فاصرخ ملء فيك حتى تتمزق رئتاك وحنجرتك وردد

من يسمع ؟

فلن تجد من يرد عليك غير صدى بعيد من أغوار الماضي وأعماق التاريخ

لقد أسمعت إذ ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

خليل رشيد

فذلك يعنى تفصيل الحكومات السياسية التى تعاقبت على اليمن منذ صدر الإسلام ، إلى وقت اتفصال حضر موت نهائيا من حكومات اليمن فى أواخر القرن الحادى عشر كما تذهب إليه

ومن العسير جدا على الباحث فى تاريخ هذه الحكومات المتعاقبة ، أن يهتدى إلى تحديد هذه العلاقة ، تحديدا شاملا . فإن المجال لا يزال مفتوحا للدراسات التاريخية ، وهذا النقص يكاد يكون ملحوظا للمعنيين بدراسة تاريخ الجزيرة العربية : ولذلك فإننا عاجزون حتى الآن عن تحديد تلك العلاقة ؛ لأن ما لدينا من المباحث العلمية والمراجع التاريخية لا يكفى فى تقرير هذه الحقائق تقريرا ضافيا ومفيدا

كيف ضاعت هذه المصادر :

ويذهب السيد الحداد برسالته « جنى الشماريخ » فى تعليل أسباب ضياع تلك المصادر التاريخية التى أشرنا إليها آنفا إلى انتشار البداوة والجهل بين سكان حضر موت ؛ لأن انتقال تلك المؤلفات إلى أيدى أولئك النفر من الجهلة ، معناه الإهمال والضياع

وربما كان هناك من يريد أن يسأل : كيف أمكن نبوغ تلك الفئة من المؤرخين ، وسط تلك الجهالة المتفشية . ولا إخال أن « الحداد » كان ينتظر بداهة هذا السؤال ، فقد أثبت فى موضع آخر من رسالته السابقة « أن الذين قدر لهم الإقبال على العلم منهم فى تلك الأزمة إنما تهيأت لهم أسباب خاصة ، تيسر لهم معها التفرغ لذلك »

وأنا وإن كنت أوافق « الحداد » فى بعض ما ذهب إليه فى تعليل أسباب ضياع المصادر التاريخية ، غير أنى أعتقد أن هناك سببا أقوى ، وهو أن المتأخرين من المتعصبة ، قد رأوا فى سيرة الأسلاف ما ينكرونه عليهم من المذاهب أو النحل . فعمدوا إلى إخفاء تلك المؤلفات وطمسها ، فى بعض الأحيان . وقد ذهب إلى مثل هذا الرأى بعض ذوى النظر والباحثين

محاولات فى التاريخ الحضرمى :

ظهرت فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى ، محاولات أولية فى تدوين التاريخ الحضرمى القديم ؛ وهى محاولات بدأت ضيقة ، ثم أخذت تتسع تدريجا ، فقد ظهر كتاب « الشامل » لمؤلفه السيد علوى الحداد . وكتاب « تاريخ حضرموت السياسى » للأستاذ صلاح البكرى ، وكتاب « تاريخ الدولة الكثيرية » للسيد محمد بن هاشم ، وكنت قد اطلعت على نسخة خطية ، بالمكتبة السلطانية بالمكلا من كتاب « التابوت » للسيد عبد الرحمن بن عبيد الله

وأستطيع أن أجزم أن هذه المؤلفات على الرغم من حداثتها لا تخرج عن سرد الحوادث سردا عاما دون تعمق أو تصويب . وقد اعترف السيد « ابن هاشم » فى كتابه « تاريخ الدولة الكثيرية » بهذه الحقيقة ، فقال فى مقدمة الكتاب : « وبعد فقد التزمنا على أنفسنا فى هذا الكتاب أن نكتب ما عثرنا عليه فى كتب التاريخ من أخبار القوم مجردة من الملاحظات والانتقادات والأخذ والرد والتحليل والتركيب »

ويحاول السيد ابن هاشم أن يبرر هذا المسلك التاريخى بقوله « ولست أجد لى حقا فى مؤاخذتى أشخاصا على سلوك مسلكوه أناخت على علله وأسبابه السنون ، ودفنت مبرراته ومسوغاته غوائل القرون »

ونحن لا نقر السيد « ابن هاشم » وهو الكاتب الأديب على هذا النحو من التفكير . وسواء أكانت المبررات التى زعمها صحيحة أم غير صحيحة فإننا كنا نتوقع أن يعمد إلى « المول » لنبش الحقائق وغربلتها ، وأن يبرأ من تلك الشفقة والرحمة ، لأنها لا تجدى فى سبيل الوقائع التاريخية أو لا تفيد كثيرا

وأود فى ختام هذا الحديث القصير أن أشيد بأسلوب « ابن هاشم » فى الكتابة : ذلك الأسلوب الأدبى الرصين الذى يطالع القارئ من حين لآخر ، فى أكثر من مكان من الكتاب

هذه فذلكة عن « مصادر التاريخ الحضرمى » أقدمها فى أنسب الأوقات وأصلحها ، لعلها تفيد فى إنارة السبيل للمعنيين بدراسة التاريخ الحضرمى القديم وتعين على فهم الحقائق التاريخية الكبرى

قيل باوزير — أحمد عوض باوزير